المساواة

(٢)

الارستوقراطية

لو كان هذا البحث تاريخياً فحسب لكنتُ بدأتهُ بالكلام على الملكية ارستوقراطية الارستوقراطية على نوع ما ؛ أو افضلية الافضلية . لاسيما الملكية الثيوقراطية اي المستمدة سلطتها من الله . فاستنجدتُ بالاساطير التي هي سجل الانتقال من واقع مجهول مأثور الى واقع مزعوم منشور يقبلهُ من اهل السذاجة من قبل واقتنع ، ويكتفي الآخرون بالتمويه والمحاباة والرياء . استنجدتُ بها لطلب جرثومة تلك الاسر الشاهانية الجلى ، فاشيتها في نشأتها التدريجية سائدة على العائلة ، فالقبيلة ، فالمجتمع ، فالامة بالقوة البدنية ، أو الفكرية ، أو التدبيرية حتى عدّها متلاحقُ الظفر بمطامع تتعدى أفرادها المعاصرين الى سلالة المستقبل . اما والناموس الكونيّ ، ناموس بقاء الافضل ، يستخدمُ ولا يستخدم في صيانة الافضلية لتلك السلالة ، فلا بد من صيانتها دون منافسة المزاحمين ولا بد من ان تملأ قبل الرماء الكنائن . ومن ثم التذرع باقوى الذرائع العاملة في النفوس من عاطفة دينية وخشية ما وراء المنظور . من ثم استجارة الملك بالدين والدين بالملك لتبادل المنفعة ، فيصبح الحاكم حامي حمى العقائد وراقع منار الفضائل . ويصبح الكاهن حامل لواء السلطة الفردية واول شاهد بانها آتية من الله . ولا يطول حتى يقتنع بحقيقة البدعة ملفقوها . ولا عجب ما دام الاستهواء الذاتي شرطاً اساسياً للاستهواء الغيريّ فلا يستفز الخطيب حماسةً الا عند تحمسه ، ولا يحدثُ الكاتب تأثيراً الا بعامل تأثره . وهل من ينفي ان اعجاب الشهداء واستهواءهم الذاتي في مصطرع العذاب بين انضواري الممزّقة لحمتهم ، واقتحامهم الموت بصبر الامل وشجاعة الثقة ، انما كان أعظم نصير للمسيحية على الوثنية وأسمع داع الى الانسلاك فيها ؟

وهكذا صار القراعنة مع الزمن ، كما وجد الفتحُ الاسباني زعماء القبائل في امريكا الجنوبية ، أبناء الشمس المنيرة . وهكذا صار زعماء الجرمان صنيعة نخذ تهور

اله الحرب فكانوا بلا مداورة أحفاد اودين الاله الميثولوجي الاسكندنافي واهب البسالة وعلة المعلولات . وهكذا صار المهرجان ثمرة تقمص من تقمصات ڤيشنو الاقنوم الثاني من الثالوث الهندي . فضلاً عن ان جماعة من ملوك اليونان واللاتين وابطالهم جاءوا من تزاوج البشر والآلهة عند مرور هؤلاء على الارض وصار من الملوك من اذا رؤي صعق رائيهُ كأنّ جلالهُ جلال المولى في عليقة موسى . وأوتي آخرون علماً وحكمة خارقين كلوك فرنسا وانجلترا يشفون الصرع والشلل وداء الخنازير وغيرها بمجرد اللمس الكريم . وظلت القرون الوسطى ، بعد الاولى ، ترى هالة الالوهية حول الملكية وتحسب حبل سلطانها مشدوداً بمتكإ العرش الصمداني

حتى اليوم وقد استوضح التمحيصُ من خفايا الترهات والتقاليد المنمومة شيئاً كثيراً واتبع فن النقد الدماء الملكية في رحلاتها المتسرّحة خلال الانساب الجمة لتنتهي حتماً الى المعبّ المقصود ، كأنها الرجل المستقيم لا يمنعهُ اعوجاج المحيط عن الاهتداء الى الصراط السويّ — اليوم وقد ناوش استقلالُ الشعب اثرة الفرد وتغلب عليها بالنظم الدستورية فابقى للفرد السلطة النظرية واجهةً زخرف وتزويق لبنيان متين فيهِ تتصرف الامة بشؤونها الادارية والقضائية والسياسية . اليوم وقد قضت الحرب على البقية المتبهة من الحكم المطلق بقضائها على قيصرية المانيا والنمسا والروسيا بعد ان قضت الثورة العثمانية على الاستئثار الحميدي . اليوم ما زالت الجماعات تهيب مظاهر الالهة الملوكية . لان الاستهواء الحسيّ الوقتي يضاف الى الاستهواء الورائيّ المتراكم الذي يتناول المرء مهما كان حراً بفطرتهِ الشخصية ، ويهيئهُ للتأثر والاستسلام كما تتأثر القنبرة بضياء المرآة الساطعة فتجمد او تستسلم

أقول الجماعات واعني الافراد كذلك . اعني أقوى الافراد شوكةً وأبقاهم اثراً ، تتكسر شوكة الملوك ويظل صوتهم مسموعاً ويعفو اثر الامراء وهمُ ابداً خالدون . ففولتر احد مضرمي الثورة الفرنساوية والهاتف باحترام الفكر وتقديس الحرية الفردية يراسل رهطاً من ملوك اوربا ويقبل صداقتهم . ولا بأس بهذا ، انما الشيء الفريّ انهُ يختم رسائلهُ بوضع احترامهِ وتعلقهِ وولائهِ « تحت اقدامهم » . وقاسم امين المصلح الجريء يطمع في تقديم كتابهِ « تحرير المرأة » الى سمو عباس الثاني . ورابندرنا ثاتاغور الهندي نبيّ وحدة الوجود المثبت في قصائده انشودة الحياة

مترددةً من كوكب الى كوكب ، ومن ذرة الى ذرة ، يحملُ لقب « سير » أنعم بهِ عليهِ جلالة ملك انجلترا ،وما هم جميعاً في ذلك الاَّ من بني الانسان !

***

ولو كان هذا البحث تاريخياً لدرستُ أحوال بلاد لا ارستوقراطية فيها ، كاليونان الحديثة ورومانيا وصربيا ، واحوال بلاد اخرى كانت فيها فنبذتها مثل تروج والبرازيل . ولألممتُ الى السلطنة العثمانية والسلطنة المصرية حيث ، عدا العائلة المالكة ، لا ارستوقراطية سوى ارستوقراطية اللقب العرضيّ المنوط بالفرد دون ذريتهِ . نعم ان رشاش الباشوية يصلُ الى الانجال فينقلبُ بيكوية ، ولكنهُ ينتهي عندهم ويفنى فيهم ولا ينتقل منهُ الى ابنائهم شيء . فحفيد الباشا افندي مجرّد ، الا ان الافندي الذي لا تحسب شجرةُ عائلتهِ بيكاً واحداً يستطيع هو ومن دونهُ ان يصير باشا اذا رمقتهُ الاحوال بنظرة الرضى

واذن لكنتُ أقيم المقابلة بين الالقاب الوراثية في الشرق والغرب واستفهم عن اصطلاحات احار في تفسيرها . منها ان البرنسس بتريسيا اوف كونوت ابنة عم جورج الخامس ، وابنة اخي ادورد السابع ، وحفيدة فكتوريا الملكة والامبراطورة — تزوجت في العام الماضي ، بسماح الملك ، ابن لورد بسيط اهلتهُ لها شجاعة ابداها خلال الحرب ، وتبادلُ عاطفة الحبّ التي تسوّي بين الدرجات وتمحو فروقها فتشرّف كل ما لمستهُ بأناملها الخفية وترفعهُ . فتنازلت البرنسس عن لقبها ومقامها ، وأصبحت بكل بساطة « لايدي رامساي » تدخل في الاحتفالات الرسمية وراء جميع البرنسسات والدوقات والمركيزات والكونتسات الى آخر ما هنالك من طغمات الالقاب ، في دور لقب « اللايدي » الضئيل الذي تحملهُ بعد ان كان لها في هذه المواقف أقرب مكان في جوار الملكة . يخيلُ اليّ ان هذا ينافي المعقول في امة يجوز ان تحكمها النساء ، وقد فعلن . اذ كان المنتظر ان امرأة كالبرنسس باتريسيا ان لم تعط زوجها لقباً كلقبها فهي تحفظهُ لنفسها ، على الاقل ، كما بقيت جدتها ملكة انجلترا في حين ان قرينها لم يكن الا برنساً المانياً ليس غير

وبخلاف ذلك هنا في مصر حيثُ لا تكون ولاية العهد والحكم لغير الذكور ، فان البنات الحاملات لقب برنسسات اذا من تزوجن برجل ليس بذي لقب فلا

يفقدن لقبهنّ العائلي ولا يفتأن يحملنهُ وينادين بهِ . ينادين بهِ ليس تزلفاً او مجاملةً بل هو حق لهنّ مدوّن في كتاب الالقاب الرسمية معترف بامارتهنّ من البلاط السلطانيّ

ولربما هبطتُ دركةً أخرى لارسل نظرةً في الالقاب اللبنانية المدهشة بإباحيتها اذ لا قانون يحدّدها . ففي جميع البلدان الكبيرة والصغيرة يرثُ لقب الشرف الابنُ البكر . اما اعضاء العائلة المالكة فلهم لقب برنس وبرنسس على شريطة ان يكونوا ابناء ملك او احفاده مباشرة من جهة الذكور . اما في لبنان حيث انقرض الحكم الوراثيّ منذ عشرات الاعوام فابناء المير او الامير يولدون امراء ، وابناء الشيخ مشايخ كلهم كلهم لا يتملص من هذا المقدور فرد احد فلو نفذنا هنا القانون الساري في جميع البلدان واجرينا التصفية اللازمة لهذه الشيوعية المطلقة فاي رياضيّ ينبئنا كم شيخ وكم مير يبقى من عملية الطرح الباهظة ؟ ولو اقتصر اللقب على ابن الحاكم الاصلي وحفيده ، وظل فيما بعد متتابعاً بالوراثة الى البكر من الذكور ، فكم ملقب يا ترى يفلت من عجاجة المصمعة اللقبية ؟ ومما يلفت النظر ان زوجة المير اللبناني كانت تُعرف ايام حكمهِ « بالست » وما زالت بطاقة الزيارة لها على هذا النصّ بالعربية والفرنجية « مدام الامير كذا كذا » . ولكن يظهر ان « ارتقاء » بعض الاهالي في بيروت ولبنان وفي المهجر آل الى كرم حاتميّ بالالقاب ، فصارت كل سيدة « اميرة » قبل زواجها وبعدهُ ! وفي هذه الحال الاخيرة يضاف اسم عائلة زوجها الى اسم عائلتها ! كل هذا والبرنسس باتريسيا حفيدة اعظم امبراطورية واعظم دولة عرفها التاريخ الى الآن ، تحملُ لقب لا يدى راماي !!!

***

يرى بعضهم الملكية وارستوقراطية الحسب متلازمتين اذا وجدت الواحدة قامت الى جانبها الاخرى . وفي هذا القول صواب وخطأ في تقديري . اما الصواب ففي احتياج الملكية الى ارستوقراطية تتكل عليها . واما الخطأ فلأن الارستوقراطية في غنى عن الملكية تستطيع ان توجد وتنمو بدونها . لذلك نرى الارستوقراطية في تعريف ارسطو اقليةً من ذوي الاهلية والفضل يسودون في جمهورية فيديرون منها الشؤون وينفذون القوانين الموضوعة بأمانة ودقة ، ويقومون بعبء الحكم

حباً بالمصلحة العامة والخير العام . ويضارعهُ تعريف شيشيرون في كتابهِ عن الجمهورية حيث يسمي الاستوقراطيين optimates وهي الترجمة اللاتينية الحرفية لكلمة Aristoi اليونانية ، اي الأفضلين او الاماثل . فمعنى الارستوقراطية الأصليّ اذاً هو حكم الافضلين . او حكم الافضل

طبعي في المرء ان يؤلف لنفسهِ جماعة تتفق مصالحها مع مصالحهِ على قدر الامكان ويثق من مساعدتها عند الخطر المداهم . والملكية تتبع هذا النظام الطبيعيّ ، اذ لا شيء الزم الى السلطة الوراثية من الارتباط بذوي الشرف الورائيّ ، وتتوقع ان تبقى لها عواطف الشكر والولاء في أسرة اغدقت عليها هي وجدودُها الالقاب والخيرات . ولكن طالما ضلّ هذا الأمل ! ولئن وجد يوماً من يدعى هندنبورج وغيرهُ من كبار الضباط والقواد الذين ظلوا يسمون غليوم الثاني «ملكي وامبراطوري» بعد محنتهِ ، وتطوّعوا في تقديم نفوسهم عنهُ للمحاكمة الدولية ، ففي التاريخ شواهد اخرى هي عبرة للمعتبر . كعاملة أشراف انجلترا للملك غليوم اوف اورنج وجورج الأول . وما قولك في معاملة اشراف الملكية الفرنساوية لنابوليون الاول ونابوليون الثالث ولويس فيليب ، وفيما كان بعد ذلك من سعي اشراف الامبراطورية النابوليونية (اي الاستوقراطية التي خلقها نابليون) لارجاع البوربون واجلاسهم على عرش فرنسا ؟!

في البشر استعداد كبير لنكران الجميل والتملص من قيوده والايقاع بصاحب الفضل عليهم عند قضاء المصلحة . ورغم ذلك مافتئ الملوك يوجدون الارستوقراطية الفقيرة جزاء عن خدمة صالحة وأملاً في ولاء مقيم . وان لم يسلم ملوك الفكر من التزلف فليس من يتقن فنون التزلف ويبرعُ فيها كأولي العز التليد . وهذا الشريف الذي يزن نبرات صوتهُ ، ويعد خطواتهِ ، ويقيسُ اشاراتهِ مع الخلق ومع نفسهِ تراهُ يتوقُ الى خدمة الملك سراً وعلانية ، واذا اسعدهُ الحظ بمحاذاة سيده في احتفال رسميّ هرع الى غسل يديهِ وتنبيل انامله ان لم يمرّغ جبهتهُ عند موطىء قدميهِ ، وقدم لهُ اطباق الطعام ، وملأ كأسهُ خمراً أو ماء ، وحمل أوامرهُ إلى الآخرين ، فهو بالاختصار يمثل دور « جرسون » قهوة او مطعم وهو بذلك فخور

الارستوقراطية ضرورية لمنفعة الامة . آه ! اني اسمع زئيركم يادعاة المساواة، وأرى ازوراركم ايها الاساتذة الديموقراطيون . انها ضرورية للاحتفاظ بصفات هي جزء من ثروة الامة ، لان لكل طبقة قوة حيوية اؤتمنت عليها . لست قائلة باحتكار القوى والكفاءات في بيئة دون بيئة . ولا انا قائلة بذكاء ابن الذكيّ ، وبفضل ابن الفاضل ، وبأن ابن النصاب لا بد ان يعدم شيئاً . من جميع اسرار الطبيعة حولي ربما كانت اسرارُ الوراثة اكثر تنبيهاً لحبّ البحث فيّ . ما أضمن تأثير الوراثة المباشرة — من جهة ، وما ألغاهُ من جهة أخرى ! تقولون انهُ لقو يتغلب للوراثة المتقطعة ، أو الرجعى ، او الوراثة البعيدة على الوراثة القريبة ؟ قولوا ما شئتم وأنا أظل على اعتقادي ، حتى يطفر عليهِ اعتقاد خير منهُ ، ان المواهب الجسمية والنفسية تدومُ متدفقة في ذلك التيار المهيب الرائع ، تيار الحياة الذي يخترق الاكوان ، ويلقي نثرات منهُ اكثر بهاء وسناء في افراد دون أفراد بصرف النظر عن صيغة نعتهم الاجتماعي . غير اني أقول كذلك انهُ اذا كان للتربية الشخصية والبيئية تأثير — ويتعذر نفي هذا اذ لـد بنفيهِ باب التقدم والتحسن ، فكيف بالتربية الوراثية الطويلة ؟ لهـذه القاعدة شواذها أيضاً ومن الارستوقراطيين من هم دون الخاملين ذلاً وسفالة ومهانة . ولكن هذا الشواذ يثبت القاعدة التي هي ان رفيع الحسب يكون عادة مباهياً باسمهِ يطمع في صونهِ ناصعاً ألمعياً ويأتي اعمالاً تزيدهُ رفعة وعظمة لأنهُ مسوق ابداً بكبريائهِ العائليّ . زد على ذلك انهُ يشبُّ على تربية حسنة ، وذوق مصفى ، ومعاملة جميلة ، وتصرّف لطيف ، وتدبير مرضيّ ، وعلم كثير ، وعادات نبيلة ، وميول سامية . جميع هذه الصفات يقتبسها عن محيطهِ الممتاز بعد ان تكون الوراثة المباشرة وغير المباشرة أثرت فيهِ تأثيرها . فيبتدىء حياتهُ على استعداد تام . أكاد أقول انهُ يبتدىء حياتهُ حيث ينتهي من لا اسم لهُ الذي يصرف العمر متطلباً تلك الميزات العريقة عند الاصيل . وتمهد لهُ الحياة سبلاً لا تفتحُ للوضيع ، فكأنّ خدمة المصلحة العامة وخدمة الانسانية أدنى اليهِ منهـا الى غيره . لهُ اولوية الشهرة وشهادة المجد يظل بها مكرّماً معززاً أينما ذهب ، بينما الآخر يضحى غالباً لانهُ مجهول لا يعرفهُ احد . فيصرف قواهُ ونشاطهُ في اقناع الناس بوجودها عندهُ وتتابع الخيبة والفشل يعلا قلبهُ مرارةً ويغير اخلاقهُ . وقد يتعذّرُ من يأس الى

يأس، ومن انكسار الى انكسار حتى يهوي في هوة الارتياب من مقدرته وكفاءته. فيلقي السلاح ويطوي اللواء ويسلم تسليم المغلوب عند ما ينطلقُ الارستوقراطي في سبيل السعي والمجد . وادخار هذه الشخصيات الموهوبة بحكم الوراثة انما هو في مصلحة الشعب والانسانية بلا جدال

هو في مصلحة العموم لاسيما اذا كانت الشخصيات شبيهة بالارستوقراطية الانجليزية التي لها بين ارستوقراطيات اوربا مكانة فريدة . هذه بيئة تكونت ببطء متناه لتعادُل السائد والمسود حضارةً في تاريخ هاتيك البلاد. فاندغم النورمانديون بالسكسون على ممر الدهور فتألفت أفضلية شريفة ما زالت تحفظ امتيازاتها في هذا الجيل العصيب بفضل تماسكها ورشدها لانها وان كانت من اكثر الارستوقراطيات محافظة على تقاليدها التي منها تفرد الابن البكر بحقوق الوراثة ، فهي في الوقت نفسهِ حكيمة تعيشُ في أراضيها على مقربة من الفلاحين ، كريمة بعيدة عن التبذير والاستهتار ، تتعاطى الصناعة والتجارة وغير ذلك من الاعمال ، وتفتح بابها لكلّ ذي اهلية ومعرفة وثروة أو خدمة جليلة . وهي ذات أثر في معظم شؤون الدولة تقبلُ الاصلاح ، وتنبه الى الضروري من التغيير . وقد جاهدت مع الشعب لارغام الملكية على احترام القانون ، وتحرير الكاثوليك ، ومنح ارلندا المساواة السياسية ، واعطاء اليهود حقوقهم المدنية والسياسية ، وانشاء النظام النيابي وما نحوها . فهي قليلة الاذى ، قليلة الظلم ، وهي مستودع صفات وعادات مرغوب فيها لذلك ستبقى زمناً آخر لانها قريبة الى نظام الطبيعة

***

أظن ان ذكر نظام الطبيعة ، بعد هذه المرافعة الطويلة في تأييد الارستوقراطية، يشفعُ بي لدى السادة الديموقراطيين ويفرج من عبوسهم في النظر اليّ . لا اقول ان الاشراف أو التفاضل ضروري في الطبيعة فحسبُ ، بل اقول انهُ من الطبيعة ولا يمكن حذفهُ لانهُ ، كالانخفاض ، جزء من اجزاء الوجود . لاشهِ تلاش ضده، وبغلاشاة الضدين يمحي كل شيء . الاشراف والانخفاض من الوجود نفسه ، اذ ليس سطح الارض كلهُ بالمنبسط ، ولا النجوم كلها من قدر واحد . والذين يطلبون المساواة مستشهدين بالشمس تسكبُ نورها على الصالحين والطالحين، وبالماء تسيحُ

فيه جميع الامماك على الاطلاق ، ينسون ان الامماك من طبيعتها التنوع حجماً وفصيلة وصفة فمنها المفصفر ومنها القاتم ، ومنها السردين ومنها الحيتان . وينسون ان العبرة ليست بالنور الذي ترسله الشمس بل بالغاية المتنافرة التي يرمي اليها هذا وذاك وبكيفية الاستفادة من النور والظلام لبلوغها . فكما ان سطح الارض ينبسط هنا مروجاً وسهولاً ، ويهبط هناك منحدرات وأودية ، ويتعالى هنالك جبالاً وقمماً ، كذلك للطبيعة البشرية سهول وأودية وقمم

وهاك استدراكاً ينبغي حظوةً في عيني جهابذة الديموقراطية ويصح ان يكون متناً لكل بحث في تاريخ الاجتماع ، وهو ان الارستوقراطية التي احتكرها ذوو الالقاب لبيئتهم ليست الا جزءاً من الارستوقراطية الحقة التامة المتشكلة من ارستوقراطية الفضل (وهي التي يعنيها ارسطو وشيشرون) وارستوقراطية الحسب ، وارستوقراطية العقار ، وارستوقراطية المال ، وارستوقراطية النبوغ . ومن المفكرين مثل شوبنهور الفيلسوف الالماني من لا يعترف بغير الارستوقراطية الاخيرة ، اذ يرى الناس اثنين : عبقرياً وخاملاً وبينهما هوة يستحيل عبورها لان الطبيعة الخاملة لا تتحول طبيعةً عبقرية . وللعبقري كل الفضل في نظره لانهُ هو مبدع كل جميل وعظيم . ولكن ان صحت نظرية شوبنهور من حيث ارجاع الابداع الى العبقرية فهذا لا ينفي ان للدرجات الاخرى فضلاً ، متساوياً مع استعدادها ، في تطوّر العمران . البذرة تلقى وهي اصل الشجرة ، ولكن النمو يتطلب عناصر اخرى . الشرارة اصل النار ، ولكن لا بدّ من موادٍ يتسعّر بها اللهيب وينتشر . والغريب هو شعور اهل الالقاب والجاه بان ما عندهم لا يكفي فيسعون للحصول على الارستوقراطيات الاخرى وان لم ينالوها تظاهروا بحيازها . مثال ذلك رغبة الملوك والعظماء في الاشتهار بالعلوم والفنون وضروب الانشاء . ومن لا يذكر ما جرى لويس الرابع عشر مع بوالو إلنقاد الفرنسوي ؟ عرض عليهِ الملك يوماً قصيدةً من نظمهِ كأنهُ يلتمس مصادقتهُ واستحسانهُ ليفاخر بهما امام الاعوان ، فكان جواب بوالو : « مولاي قادر على كل شيء ، اراد نظم ابيات سقيمة فنجح كلّ النجاح » . وقد يخلط الناس فيحسبون ان من توفرت لهُ ارستوقراطية توفرت لهُ غيرها ، كقول الشاعر عن ارستوقراطية المال :

فهي الكلام لمن اراد فصاحةً وهي السلاح لمن اراد قتالا

تقبل هذه النظرية منظومة من شاعر فقير بلا ريب . لان الواقع ان المال يزيد في اظهار العيّ ويزيد الجبان خوفاً وجبناً . ولا يكون « الكلام » الا لمن فطر على الفصاحة ، ولا « السلاح » الا في يد الفارس المقدام . ولا هو الارتقاء الا لمن خلق ليرتقي متسلقاً جبال الصعوبة فيصل الى ذرى التفوق . اما القول بالحظ والنصيب فصحيح الى حدّ ما ، بيد انهُ من دلائل العجز ان يظلّ المرء مكتوف اليدين في انتظار « الظروف » ليتحرك . « الظروف » تخلق الشخصيات اللازمة لها ، وتكوّن الارستوقراطيات الفردية والقومية المطلوبة ، وتنبه النبوغ وتعزّزهُ . ولكنها تختار ممثليها وابطالها بين العاملين المتحفزين لا بين الكسالى الخاملين . وان اختارت خاملاً سهواً بدّد عطاياها هباء وظلّ الحظ فيهِ على نحو قول العامة « رمح يغرز في النخالة »

قال شاعر عربي آخر « كل من سار على الدرب وصل » . وهذا الآخر يشفع في نظريتهِ انها منظومة . كلاّ لا يصلُ كل من سار على الدرب لان المدعوين كثير اما المختارون فقليل . ويقال ان فضل المجاهدين في انخذالهم اعظم ، ولا بأس بنشر هذه الكلمة للتشجيع لاسيما وان نتيجة الجهاد لا تعرف قبل البلوغ اليها . ولكننا نعلم ان الحياة لا تكرم وتكبر الاّ من كافح فغلب . اما الآخرون الذين ينهكهم الجهاد فيقعون صرعى في طول السبل وعرضها فتلقي عليهم نظرة الاشفاق ثم تنساهم لان وقت البطولة ضيق لا يسع التحسر على الفريسة والضحية . وستظل الارستوقراطية ، ارستوقراطية الجماعة وارستوقراطية الفرد ، ما دامت الطبيعة طبيعةً ولو تحوّلت منها الانواع وتغيرت المظاهر وتعدّدت الاسماء . سيظل التفوق موجوداً ما بقي بين البشر جماعات وافراد يسيرون بخطوات الجبارة نحو قمم الوجود فيتجلون على طور القدرة والمجد فوق صياح الصائحين وتجديف المجدفين . سيوجد ابداً هؤلاء ومنهم من ينعكس خيال ارستوقراطيتهم في الاجيال الآتية وتمتد حتى اطراف الدهور القصية مهما تقلبت الثورات والنظم والعمرانات ، اذا كانت تلك الارستوقراطية من الطراز « الاصلح » . هذا الطراز الذي قرّرت لهُ الطبيعة الفوز اولاً وآخراً

(مي)